

المهاجر

يسرى الأيوبي

كان في بيروت ملك أصابته أمراض الشيخوخة وله بنت وحيدة غاية في الجمال والرقة واللطف. تحب الموسيقى والمسارح وتعشق كل الفنون، وكان له وزير من أبناء عمومته أسلمه إدارة البلد فوزعها على أبنائه الثلاثة، وأعطي امارة الحي الشرقي لابنه الأكبر، وامارة الحي الغربي لابنه الأوسط، والجنوبي لابنه الأصغر. وكانت الأمور تسير سيراً حسناً والوزير على قيد الحياة، فهو صاحب حنكة ودرأة في شؤون الحكم يعرف كيف يعالج كل الأمور دون أن يسمح للمنافسات والضغائن أن تطل برأسها وتفسد أمر البلد. فلما مات استقل كل ابن من أبنائه بامارة حي ورفع عليه راية، وبقي حي واحد إلى الشمال الغربي من المدينة بدون علم، سكنته فئات مختلفة من الناس، غالبيتهم من المهاجرين.

كان من بين من سكن هذا الحي اخوة خمسة لهم أخت صغرى ظهرت موهبتها في فن الرقص، وسرعان ما ذاع صيتها ولمع نجمها. وعرف عن هذه الأسرة المهاجرة أن ملك الزواحف طرد العشيرة التي ينتسبون إليها من ديارها وتربيع هو عليها، والتاج والوالدان إلى مملكة الشمال وهناك في المنفى ولد لهما توائم ذكور في المرتين اللتين أنجبت فيهما الزوجة، أما في المرة الثالثة فكان التوأم الذي انجبته صبياً وبنتاً أولئك كل منها بالآخر، وكانا منذ طفولتهما على وئام وحب كبير. ولقد تعلمت الطفلة منذ صغرها فن الرقص وبرعت فيه على أيدي أساندة مهرة في هذا الفن فلما نزلت الأسرة بيروت سرعان ما لمع نجم الفتاة وأصبحت نجمة يشار إليها بالبنان. أما الصبيبة فانهم انضموا جميعاً إلى مقاومة ملك الزواحف وأتوا على أنفسهم أن لا يتزوجوا أبداً حتى يقهروه ويعودوا إلى بلدتهم. ففقد عليهم وحشد قواه وهاجمهم في البلد الذي التجأوا إليه.

* * *

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

عندما حلت الأسرة المهاجرة في بيروت اصطباغت السماء بحمرة قانيية، وغارت ينابيعها فتحققت رؤيا كان قد رأها ابن الأصغر في العائلة، وتتأكد له أن هذا هو الموضع الذي قدر له أن يستقر فيه بعد أن طاف كثيراً من البلدان.

وسمعت ابنة الملك كغيرها من الناس قصصاً كثيرة تروى عن مهاجر وفد إلى بيروت واستقر في حي فقير لا علم له بين مهاجرين قذف بهم سوء الطالع إلى هذا الحي، فمنهم من غادر وطنه مرغماً، ومنهم من سدت أمامه سبل العيش في بلده فجاء من الأطراف إلى العاصمة، أو من بلد خارج الحدود إليها، ومنهم من هبط الجبال الجرداً ليسكن بيروت في أفق أحياها، ويرتاز من صيد الأسماك، أو شق الطرق، أو العتالة. ومنهم من جر العربات وعمل كباقي جوال منتقل أو خدم في محلات. وحتى الصغار في هذا الحي كانوا يعملون ويساعدون أهلهم. يشد أحدهم سيراً جلدياً فوق جبينه يحمل به سلاً كبيراً ينقل به حاجات الناس لقاء أجر زهيد وينوء تحته. وحين تتحسن ظروفه يشتري صندوقاً لصبغ الأحذية ويجلس مع صبية آخرين على ناصية شارع ويمسح ويلمع أحذية العابرين. وكانت النساء والفتيات يعملن في خدمة البيوت. أما الذين لم يجدوا عملاً أو أنفوا من الأعمال الزرية المتاحة لهم، فإنهم اشتغلوا بالتهريب واللاصوصية والاتجار بالمنوعات. غير أن المهاجر الذي أثار غضب ملك الزواحف لم يكن من فئة من هؤلاء بل هو كما يقال، كان سيداً في وطنه، ابن زعيم قبيلة، هاجر طائعاً مختاراً وملء قلبه تحقيق أمنية طالما راودت خياله.

قيل عنه أنه وقعت مشادة بينه وبين والده لأن له سلوكاً لا ينصح وسلوك الخاصة؛ فهو يمد يده بالسلام على البستان في قصر والده ولو كانت يده موحلة، ويصر على أن ينفق على نفسه من عرق جبينه. وكان قبل أن يتخصص بمهنة الطب يذهب للعمل في ورشات النجارة والحدادة وتصليح الآليات، أو ينخرط مع عمال البناء ويحمل على كتفه سطول الشمنتو، ويرفع جدران القرميد وبيسوي البلاط.. وكان دائم الشجار مع رجال الشرطة الذين يجررون بريئاً مظلوماً ويمارسون عليه ضروب العنف قبل أن تتلقفه العدالة وتحكم له أو عليه. وتحدث أناس آخرون عن أن والده قال له:

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

- أنت لن تصلح أبداً لتتول الأمر بعدي، فصفاتك ليست صفات القيادة ، بل صفات الضعفاء والمنبوذين والعيبي. وأنا قد بلغ الكبر مني مبلغه وعلى أن أطمئن على استمرار سلطاني في عشيرتي، وسأجده من بين أخوتك من هو أكثر جداره منك لتنصيبه زعيم البلاد! ان عليك أن تخفي ان كنت ت يريد الاستمرار فيما أنت عليه، ولم تقل عن عاداته تلك، لأن أحداً في البلد لن يهابك ويحسب لك حساباً.. فشاور عقلك، ابني أعطيك مهلة شهر لتشاور عقلك..

ويضيف آخرون على أن الشاب أجاب باصرار:

- لست بحاجة لتنظر شهراً فتعرف ردِّي.. ابني مصر على ما أنا عليه، ومنذ الغد أغادر البلاد..

ثم يزورون القصة بأن الشاب رفض أن يأخذ معارضه عليه والده من ثروة هي حقه من الارث المتوارث في العائلة وقال بأنه يكتفي بما نال من علم وبما لديه من مهارات، ولمساعدته من قوة ليحصل على معيشته أينما حل.

دارت أسرة الشاب كثيراً من البلاد وأنفق هو بوضع لغات حتى حطت أخيراً في بيروت، وسكنت مع تلك المجموعة المشردة والمهاجرة على شاطئ البحر في بيت من بيوت الصفيح، وسرعان ما بنت بيتها من الحجارة. وسرعان ما استخدم الشاب مهاراته في تعليم الناس كيف يطورون أنفسهم وبينون بيوتهم ويمتهنون حرفاً يجعلهم يكتسبون عيشهم بعرق جبينهم.. وكان أحياناً يعالج أدواتهم ويستعين به الناس في حل مشاكلهم. كان يوحدهم بالعمل المشترك.. ولقي صعاباً كثيرة مع الشرسين الضالين حتى استطاع أن يؤثر في عدد منهم ويعدل سلوكهم فيتجنبون خلافاتهم، والهزازات فيما بينهم. من هاجر قبل من، ومن هو على دين ملك البلاد ومن هو على غير مذهبة. فما أكثر ما يجد الناس سبباً أو آخر للاختلاف والتباغض! وكان هذا الأمر يؤرق المهاجر ويريد أن يجد له حلاً.

لم يكن يدرِّي أن صبيته يذيع في بيروت ، ويتقدَّم الناس أخباراً عنه غير دقيقة، منها ما هو ظاهر للعيان ومنها من قبيل الاستنتاج.

كان على كتف الشاب وشم نسر ، وكثيراً ما سُأله أخوه أمهم عن هذه الظاهرة الغريبة فكانت تقول لهم بأن هذا من أثر الوحام.. ولكن الوشم أخذ يكبر

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

ويتضح يوما بعد يوم ويسبب الحرج للصبي حين يسبح ويثير تساؤلات الناس ممن حوله. ذات يوم حلم غريبا بأنه ينزل بلدا غريبا وفي اللحظة التي ينزل فيها تصطBUG السماء بحمرة قانية وتغور فيها الأنهر. وسمع مناد ينادي " هذا بلدك ، وهاهنا عشيرتك " كان الصبي قد أصبح شابا وما عاد يصدق ما تقوله عن هذا الوشم الذي هو من أثر الوحش. كانت الشكوك تراود الفتى من أن سرا ما يتعلق بوشم النسر على كتفه فلاح على والدته أن تخبره الحقيقة فعلم أنه طفل متبنى للأسرة وأن سائق شاحنة هو من أقارب زوجها جاء به في احدى زياراته لهم في الليلة التي ولدت فيها ابنته فأرضاها من ثديها، وأصبح أثيرا لديها كائنات، بل تفضلهم عليهم لأنه كان دائما بارا بأبويه محبًا لأخته وخصوصا لأخته، لاما لا يعمل في مهنة إلا أتقنها ولا تعطي أمرا إلا بربز فيه. ولما عرف هذا الأمر عن نفسه لم يقلق له بال، بل ان هذا الأمر حرره أكثر ليمارس هو اياته .. وعرف من أمه عن المكان الذي لقيه فيه السائق ، فشد اليه رحاله. ولكن الأسرة التي أحبته لم تتركه يذهب وحيدا بل ربطت مصيرها به وانقلت معه الى بيروت.

وحين نزلت الأسرة بيروت تحقق الحلم الذي رأه فاصطبغت السماء بحمرة قانية وغارت مياه الأنهر فأدرك أن العناية الالهية تزيده لأمر جل لا يدرى تماما كنه.. كانت عيناه مثبتتين على هدف واحد، هو توحيد الناس ليعيشوا في سلام، فيتوقف الداء الذي استشرى في مجتمعهم الغريب وجعلهم أخوة أعداء.

* * *

كانت المدينة محاصرة والمسرح غاص بالمتفرجين يريدون أن يشاهدو راقصة الباليه الشهيرة التي صعد نجمها، وكانت ترفض الرقص في مسارح بيروت بالرغم من العروض المغربية وتفضل الساحات المكشوفة لتمارس فنها، حيث تلقى جموع الناس الغفيرة دون تمييز لتشاهد عرضها على شاطئ البحر. ومر موكب فخم وزلت منه فتاة بارعة الجمال فأفسح الناس لها إذ عرفوا من تكون واتخذت مكانها في المقدمة لتشاهد العرض مع الناس.

قال الشاب الذي قدم الراقصة للمسرح وتحدى عن موضوع الرقصة التي

ستقوم بها:

“انهم يريدون أن يحرموكم من الرقص.. في المدينة المجاورة أغلقوا المسارح وهدموا منابر المعابد، وأزروا كل مصطبة يصبح عليها دياك.. ملك الزواحف لا يريد أن يرى كائناً منتصباً يسير على قدميه.. خرج الإنسان من التاريخ رخوالينا وتنطى ألوف السنين، واحتاج إلى ألوف أخرى كي يصلب عموده الفقري.. كان يقف ويتعرّث، ثم يقف ويتعرّث حتى انتصبت قامته، ثم مرت ألوف أخرى قبل أن يتعلم الرقص.. كان رقصه في البداية رقصاً غريزياً، ثم غداً مجنحاً.. كل أشواق الإنسان تتجلّى في الرقص.. كل الحضارة التي صنعتها، صنعتها وهو يرقص.. الأحياء يرقصون، والزواحف وحدها تكره الرقص.. مساميرها تدق النعوش للراقصين.. انهم يقعنوننا أن أفضل المخلوقات هي الزواحف الرخوة اللينة.. انهم يقصون علينا بأن الراقصين الكبار أسانذة المهنة قد تعبوا، واستلقوا في نعوشهم واستراحوا.. كيف نصدقهم؟ لم يقولوا لنا بأنهم حاصروهم على خشبة المسرح، ومنعوا عنهم الطعام والشراب بعد أن طردوا المتفرجين.. حاصروهم على الخشبة ثم قالوا لهم أرقصوا إن شئتم في حجر الملابس فارتطم أجسادهم بالجدران وبأجسام زملائهم وتعاركوا فيما بينهم ثم همدوا يئتون من كدمائهم وجروحهم.. فما الراقص دون حلبة ودون متفرجين؟ ان الزواحف تنتظر أن تصبر عضلاتهم وتفقد مرونتهما وتنطفئ في صدورهم شعلة الحماس فيسهل تحويلهم إلى زواحف.. ولكن الراقصة المجنحة تأبى أن تتخلى عن رشاقة قدميها.. أنها تحاور وتداروّر ملك الزواحف المثبت في مكانه يدور ويتلوي بجسده كيف دارت، ثم يشب عليها ليتلف حولها، ولكنها تروغ منه ولا تتمكنه من نفسها..وها هي رقصته معها كر وفر وسنرى من الذي يتعب أولاً فيترك الخشبة ويتوارى.”

قبل أن تبدأ الراقصة في اداء دورها شاهدت بين المتفرجين مصوراً هيأ نفسه لالتقط فيلما سينمائياً للتلفزيون.. عسس ودفع عن وجهه بحركة غير ارادية قناع الآدمي ظهر له وجه زاحفة.. كانت لمحّة خاطفة فكذبت عينيها وقالت في نفسها “أصبحت متواترة الأعصاب هائجة النفس بفعل التهديد المتواصل.. هاهو الرجل من ذوات الفقاريات، يقف على قدميه منتصب الظهر.. ومم أخاف وأربعة

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

من أخوتي يحرسون مداخل المدينة، وواحد يقف قربي مسلحًا مستعداً لكل طارئ؟.“.

رقشت فأبدعت.. كانت ترتفع إلى مصاف كبريات راقصات الباليه في العالم، بينما هذا الفن جديد في المدينة التي التجأت إليها.

أسرعت إلى سيارتها من الباب الخلفي للمسرح بعد أن لفت نفسها بوشاح محملي وهي تسمع التصفيق لايزال يدوي في الساحة.. وجدت سائقها بانتظارها وقد أحني رأسه على المقود.. قالت باسمة ملطفة شعورها بالذنب “تركتك في انتظاري حتى غلبة النعاس.. إنك تتعب وتسرع طويلاً معي دون أن تشاهد عرضي.. وأنا التي أكره القيود أفيض حركك في النوم والراحة دون حق.. ولكن لك أسوة بأخوتي الذين يحرسون مداخل المدينة.. أنتي مستهدفة، أخوض معركة حقيقية ضد ملك الزواحف وليس لي من سلاح إلا رشاقة قدمي.. سأرقص رغمما عنه ، ولن أسمح للفائفة أن يجعل مني موبياء حية في تابوت ولو كان من ذهب خالص، أو عاج حفره أمهر الصناع.. رعشة الحياة تهز كل جوارحي وأحس بالتناغم عند كل فجر.. أرقص بكل عنفوانى وأنا أرتقب بزوج الشمس.. أما في الليل فأنا لأرقص إلا في منتصف الشهر حين يكون القمر بدرًا.

كانت تتحدث دون أن تتبه إلى السيارة وقد قطعت شوارع المدينة المضاءة إلى شوارع حالة الظلمة.. تسللت الريبة إلى قلبها وهي تحدق في الظلمة، ثم صاحت مذعورة “أين تذهب بي؟”

وتوقفت السيارة فجأة بشكل جعل رأس الراقصة يرتطم في المؤخرة فيدور الكون بها دون أن تغيب تماماً عن الوعي، وأحسست بشيء لزج ياتف حول ذراعيها وقد انحرس عندهما الوشاح، وبفم كريه ينبعث منه رائحة تبغ رخيص يزحف نحو عنقها وفمه.. وأخذت بدفعه عنها، وتمتمت في ذعر: “ أخي أنقذني، أنا في خطر.. ” ولكن صوتها لم يبارح حنجرتها، لقد تقطعت أسلاكه فجأة وكأنهما آلة تعطل محركها.. ارتحت كلها، وقبل أن تغيب عن الوعي سطع نور كشاف ودارت حولها وجوه أفعوانية فأغلقت عينيها وسمعت فحجاً يتتساعل : “ هل تم الأمر؟ ” “ تماماً.”.

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

* * *

كانت هناك عينان تشغلان الشاب عن حماية أخيه في تلك الليلة الليلاء التي كان ملك الزواحف يحاصر بها المدينة. وقف لحظة مسمرا في مكانه، مشدوها، والتقت عيناهما ، وأحس الشاب بما يشبه زلزالا في كيانه كله.. لقد رأى الفتاة من قبل في أحالمه ، أو شاهد صورتها في مجلة أو شيئا من هذا القبيل.. كانت كأنما هي قادمة من عالم غامض عاشه من قبل، وأحس بالحب الجارف يملأ كل كيانه، ويسري بدوره اليها.. كانت هي الأخرى كأنما تصارع رغبة لا تقوى على احتمالها وتخشى أن تفضحها عيناهما.. فابتسمت وقالت بلهجة في غاية العذوبة:

- كان العرض رائعـا، لم أشاهد مثله الا في ممالك الشمال. هل بينك وبين راقصة الباليه قرابة؟

- نعم انها أخي التوأم.. ولقد درست هذا الفن في ممالك الشمال حيث كنا لاجئين.

وفجأة تذكر أنها خرجت دون أن يلحق بها لحمابتها، وانكمش قلبـه ، وسمع في خياله صراخها تستجد به، كأنما بين روحـه وروحـها جهاز لاسلكي غير منظور ..

حدث ما كان يخشاه.. شاهد الناس سائقـها مغمـى عليه عند البحر.. ولما سألهـ عـما جـرى أخـبرـهمـ أنـ رـجـالـاـ ثـلـاثـةـ نـزـلـواـ منـ مـرـكـبـ الصـيدـ ، وـأـمـسـكـواـ بـهـ وـخـدـرـوـهـ وـأـلـقـواـ بـهـ فـيـ هـذـاـ المـكـانـ.. وـلـمـ يـلـبـثـ أـنـ اـنـتـشـرـ الـخـبـرـ فـيـ المـدـيـنـةـ بـأـنـ الـرـاقـصـةـ اـخـتـفـتـ!

لبـسـ الـاخـوةـ الـخـمـسـةـ السـوـادـ عـلـىـ أـخـتـهـمـ الـغـالـيـةـ الـتـيـ اـخـتـفـهـاـ مـلـكـ الـزوـاحـفـ وـأـقـسـمـواـ بـأـنـهـمـ سـيـحـارـبـونـهـ حـتـىـ الـموـتـ.

* * *

حملـتـ الـرـاقـصـةـ إـلـىـ بـيـتـ مـنـزـلـ عـلـىـ الحـدـودـ.. سـأـلـ أـحـدـهـ: "هلـ النـعشـ جـاهـزـ؟"

- نـعـمـ فـيـ الـغـرـفـةـ الـمـجاـوـرـةـ.

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

كان البيت مهجوراً وفي القرنة فوق المكتب حيث أطلت سحنة حردونية كان
عنكبوت ينسج خيوطه بحرية..
ريشة الرجل تسجل بعصبية وتختم وتتوقع: "هاهي جوازات المرور وأوراق
الوفاة."

تدق المسامير، وطواط ينتقل من مكانه ويختفي في حجر في الحائط، تدق،
تدق المسامير، وينقل نعش عبر الحدود.. يحترم رجال الحدود الحزن المزيف
ودموع التماسيخ ويبلو أحدهم الفاتحة على روح الشهيد..

لو أن المخدر فقد مفعوله أثناء الرحلة لما استطاعت الراقصة أن تأتي بحركة
داخل النعش إذ أن فمها كان مكمماً وأطرافها موتقة. وحين عادت إلى وعيها كانت
الظلمة تلف المكان.. ظنت لأول وهلة أنها في فراشها ولكنها لم تثبت أن أحست
بصلابة مرقدها، وحاولت أن تدعوك عينيها اللتين كان النعاس يغليهما فما أطاعتتها
يدها. وتتبهت تتبهتا تماماً على ادراك أنها محكمة الوثاق وأنها في مكان ما تحيط به
الأخطار.. كانت تظن بنفسها متحصنة تماماً بقانون المدينة التي هاجرت إليها،
وأنها حرة فيها كالشاعع.. أتراءها وقعت في فخ نصب لها؟ وحاولت أن تستعيد في
ذكرتها آخر ما جرى لها. كانت في طريقها إلى منزلها في ضاحية المدينة وكانت
تتحدث إلى السائق ثم توقفت السيارة بارتجاج خطير. لم تذكر أبداً أنها شاهدت
سيارة مقبلة في غمرة حديثها. وفجأة أطفئ النور، وأحسست بشيء ملمسه بارد
يزحف إلى ذراعها يقترب من فمها. لعله رائحة المخدر ذلك الذي ظننته تتبعاً
رخيصاً.. صرخت طالبة النجدة ولكن لم يرد عليها أحد.. أتى السائق منهم؟
ذكرت أنها طوال حديثها لم يعلق بشيء على ماتقول، فظنته مهموماً غير راغب
في الكلام كعادته حين يشغل باله شاغل. بل إنها لم تشاهد وجهه حين دخلت
السيارة.. والتمنع في خيالها صور لم تدرك أشاحتها في صحوها أو نومها، وجوه
أفعوانية،وجوه بعثت الرعشة في أوصالها.. هي ليست وجوه لصور، وماذا
لديها ليغرى بها اللصور، وهي تهب أكثر مما تناول من الدنيا. ليس من أحد له
مصلحة في أن يشل حركتها إلا الزواحف.. كان الناس يبتسمون لمرآها في
انطلاقتها، وكل من لم يرها ترقص عند الفجر يعتقد بأن شيئاً ما قد نقص من

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

حياته، ويستشف في أعماقه نحيبا مكتوما ينبع عليه مسارات أيامه. حتى الأطفال كانوا يفضلونها حين يخرون بين رغيف الخبز أو مشاهدتها في حلبة الرقص بقدميها المجنحين وشاعر النور يلاحقها..

لماذا هي مكتملة موثقة الأطراف لاتملك حراكا، وما هذه العتمة الحالكة التي تلفها؟ تسمع قليلة مفتاح وصرير باب ووقع خطى ذات اصرار. وينساب بصيص نور متقللا على الجدران ويدور باحثا كنصل مجرم يتحفز لاقتراف جريمة في الظلام السحيق.. وأرهقها الخوف، خوف غامض صاعق أمام آلة صماء عمياء، وأحسست برودة الموت تسري في أوصالها.. وتململ النور فوقها، ثم حط على وجهها، وأغمضت عينيها ثم فتحتهما كأنما تجذب نفسها من حلم راعب يطبق عليها، وسمعت صوتا ثملا كأنه تردّد صدى بعيد: "وَقَعْنَا عَلَى صِيدٍ ثَمِينَ".
وأخذ الرجال في فك وثاقها .. كانوا يحدجونها بنظرات غادة فرحة بانتصارها، فانقضت من الصندوق وهي تستعيد رباطة جأشها حين رأت نفسها محاطة بالعدوان..

- من أنت، ولماذا جئتم بي إلى هذا المكان؟
وبقي سؤالها دون جواب.

- لماذا تصمتون؟ هل أفهم أنني ضحية اختطاف؟
- لصالحك.

- ماذا تتبعون مني؟
- المرونة..

- انني مرنة بما فيه الكفاية، منذ كنت طفلاً وأنا أتدرب على المرونة.
- ومع ذلك لا تزالين من ذوات الفقاريات..
- يالكم من حاسدين! تكرهون كل منتصب على قدميه..
- لماذا نتبادل عاطفة التفور؟
- كيف يمكن لذوات الأجنحة أن تستأنس بالزواحف؟
- الزواحف ما بهم؟.. مخلوقات مبرقشة، مخططة، ملساء ناعمة، وديعة الانسياب، هامسة النبرات.

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

- ربما تكون أفضل مني، وأقدر على الحياة..

- اذن لماذا لا تصبحين زاحفة؟

- أنا لست غانية متهاكة.. أنا لا أُعشق إلا فني ورشاقة قدمي..

حرام أن تعاندي الريح.. نريد إنقاذك.. ان بعض المرونة تتقذك من الزوال
قبل أو انك.

- عدت إلى الحديث عن المرونة.. ماذا تعني المرونة في مفهومكم؟

- أن تكوني مثل هؤلاء..

ودار النور حولها دورات لولبية، وسمعت تتكثّف آليّة، وظهر على أحد
الجدران لوحة سينمائية مجسمة، كانت هناك زواحف من كل فصيلة ولون تموّج
وتعانق وتنشّابك وتتمدّحوا نحوها نصالُ السننِها، وأشاحت بوجّهها فأحاطت اللوحة بها
من كل جانب، فأحسّت كأنّما هي في مسرح الحياة مع هذه المخلوقات الكريهة،
وغطّت عينيها وقد أنشبت فيها حمي من الغثيان والذعر..

- كفى، كفى، لا أريد أن أشاهد أكثر.

واختفت اللوحات المجسمة..

- أترّين كم هي سعيدة؟ إنها تشكر من خلصها من فقارياتها، وأراحها من
عناء الوقوف على قدمين..

- أنا لن أصبح زاحفة بعد أن تدرّبت قدماي على الطيران..

- هذا جنون..

- نحن في زمن مجانينه أحکم الحكماء.

- هذه الحكمة مدانة.

- من يدينها؟ أنا في بلد حر لا يدين حتى المجرمين فكيف يدين رشاقة
القدمين؟

- ولكنك هنا في قبضة ملك الزواحف. ان مالايرضي ذوقه يدان.

- بأي حق ينتزعوني من بلدي، ويأتي بي إلى مجال سيطرته؟

- انك تزعجيـنـهـ،ـ سـمعـكـ الـبعـضـ تـشـتـمـيـنـهـ وـتـحـرـضـيـنـ عـلـيـهـ.

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

أنا من بلد حر وشعب حر، سيسنتركمي احتطافي، فهذا مناف للقانون الدولي..

- في بلدنا يسري قانون واحد، قانون ملك الزواحف، ان من نختطفه لا يسترده أحد..

- أنا بالرغم من ألم المعاناة حقيقة أزلية.

- لأنؤمن بالميافيزيك.. أنت اما أن تكوني لنا أو لاتكونين أبدا.. أهذا تهديد؟

- افهمي الأمر كما تثنين. ومع ذلك أقول أن الأمر في صالحك.. انك تربكيننا وتشوشين قناعتنا، إذ ليس لدينا قوانين خاصة بذوات الفقاريات. ولهذا نريد أن نجعلك منا وعلى صورتنا. والأمر بسيط، مجرد عملية صغيرة ، تقاد تشبه وخز الإبرة تصبحين بعدها واحدة منا.

- أرجووني إلى بلدي وسأتعهد أن لا أفوه بكلمة، خيرا كانت أو شرا..

- فات الأول على ذلك بعد أن بدت منك عواطف عدائية..

- ماذا تريدون أن تفعلوا بي؟

- زاحفة رغمما عنك!..

- لن تقالوا مني.. نسيتم أنني راقصة مجنة، أطير ولا تستطيع الزواحف اللحاق بي..

- أرقسي اذن في معقل ذوات الفقاريات!..

* * *

- آسفة يادكتور.. انني لأنوي أن أجذب دوريا.. ولكن الأمر عاجل فيه حياة أو موت.

وأمر الطبيب الممرضة أن تصرف المرضى وتغلق الباب الخارجي لأن وقت الدوام شارف على الانتهاء، ثم دعاها للدخول، وسألتها عن شكوها فقالت:

- ما بي من مرض .. جئت فقط لأنني سمعت أنك الوحيد في البلد الذي له خبرة في معالجة لدغة الأفعى.

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

- ليس تماما.. فبطون الكتب لاتحتوي على مثل هذه الخبرة، فهو وباء جديد انتشر منذ حاصر ملوك الزواحف المدينة، ولم يعرف الطب له علاجا بعد.
- ان هذا الحي كما أرى، عصي على الوباء ولا يصيبه ما أصاب الأحياء الأخرى، فكيف يحدث هذا؟
- الناس حولي لديهم مناعة ذاتية ضد هذا الوباء لأنهم تلقوها به وهم أطفال. فنجاحي هنا ليس دليلا على خبرة أو مهارة في هذا المجال.
- أقدر لك تواضعك، ولكنني في مأزق، ولا أثق كثيراً بمن يحيطون بي، وأرى أن الوباء يتفشى بينهم مثل النار في الهشيم وتصل العدوى إلى والدي، فأرجوكم أن تذهب معى اليه فإذا لم تستطع علاجه فعلى الأقل توقف تطور الحالة فلا تتجاوز أصابع القدمين.

وحذثه كيف دخلت عليه في اليوم السابق فشاهدت قدميه الورمتيين في طست ماء، وأخفاهما في عجلة في منشفة وتربع. وحبست الفتاة دموعها، وارتعش صوتها وهي تردد:

- أدركت أن الوباء أصابه، وأنه يعيش المحنـة التي عجز كل أطباء البلد عن وقفها! في كل يوم تحدث هجرات جماعية إلى خارج البلد خوفاً من ملوك الزواحف فإذا تفاقمت بوالدي العلة، فإن المدينة ستكون مفتوحة لملك الزواحف. وهناك من يقترح على والدي الهجرة للاستطباب في الخارج، إنهم أمراء الأحياء، فإذا فعل فسيلحق به أناس كثيرون وتخلو المدينة.. أو ربما دبت فيها الفوضى حين يترك أمرها لاخوة يتنافسون فيما بينهم حتى الموت..
- صدقـت.

قالـها وهو ينظر في عينيها نـظرة طـولـة تـنـفذ إـلـى أـعـماـقـها فـتـضـرـج وجـهـهـا وـحـقـقـ قـلـبـها كـأـنـماـ لـهـ جـنـاحـاـ طـائـرـ.

- ان قلبي ينفطر لما يجري في البلد، ولا أحد يرشدني إلى ما ينبغي عمله:
قلـتـ فيـ نـفـسيـ "ـلـعـلـ لـدـيـكـ عـلـاجـاـ"
- ليس لدى كما أخبرتك إلا قليل من الترياق انتزعـتهـ منـ أـفعـىـ فـيـ الصـحرـاءـ، سـأـضـعـهـ تـحـتـ تـصـرـفـ وـالـدـكـ.. وـأـضـيـفـ إـلـيـهـ الـإـيمـانـ.. اـنـنـيـ أـوـمـنـ

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

بالأرض وبالإنسان الذي يسير منتسبا على قدمين على هذه اليابسة، وله يدان خلقتا لابداع الحياة للتدميرها.

تحدثا طويلا، وكلما طال بهما الحديث تعمق أحدهما في كيان الآخر حتى أصبحا وحدة روحية، وأحسست الفتاة أن القدر قد أبرم مصيرها وغرس في صدرها حبا سيفي مشتعلًا حتى آخر نفس من حياتها.

* * *

أصبح المهاجر يتتردد على قصر الملك ويعالجه بالترنيات وي العمل على ايقاف نطور المرض عنده بنقوية المناعة الذاتية لديه.. وهناك تعرف على مربيبة ابنة الملك التي كانت أرملة الوزير السابق وأم الاخوة الأعداء الذين يت天涯سون على كسب ود الأميرة ويتباغضون فيما بينهم.. كانت سيدة فاضلة حكيمة أصابتها أمراض الشيخوخة وأفعدتها. وفي احدى جلساته معها فاض قلبها بسر كالمته عن الناس جميعا ماعدا الأميرة..كم كانت تخشى الفتنة حتى أنها ضحت بأصغر أولادها قبل أن يشتهد عوده فتحقق على يديه تلك الرؤيا التي أفاقت منها مذعورة.

قالت للطبيب المهاجر .

- كان طفلا في الشهر الأول عندما وشمته كتفه بوشم النسر كما هي عادة أسرتنا. بكى وأعول كثيرا، ثم غفا في حجري، وغفوت أنا الأخرى. وحلمت حلما غريبا بأن الطفل في عيد ميلاده يطفئ شموعا ثلاثة كانت على قالب الجاتو أمامه ثم يتحول إلى نجمة كبيرة ساطعة في سماء الغرفة.

ذهبت إلى عرّاف عند مصب نهر بيروت وطلبت منه تقسيم رؤياي فقال بأن الطفل حين يبلغ الثلاثين من عمره سيقتل أخوه الثلاثة ويتربيع على العرش، لأن الملك لم تجب له زوجته التي هي ابنة عمه، ولا يريد التخلص منها في سبيل العرش.

جزعت جزا شديدا، وكذلك زوجي وخشيت أن تتحقق النبوءة، فحملنا الطفل الصغير إلى خارج البلد وتركناه على قارعة الطريق. واختبأنا معا حتى شاهدنا شاحنة عابرة يتوقف سائقها ويحمل معه الصغير. كان يصرخ وها أذنا بعد ثلاثة عاما لايزال صراخه يقض مضجعي ويعاودني في أحلامي ويعذبني عذابا موجعا.

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

شحب وجه المهاجر وطرق قلبه بعنف . هاهي ذي أمه التي تخلت عنه فربته أيد غريبة حانية، رغب أن يكشف عن الوشم في كتفه فمنعه حذره بأن الوقت لم يحن بعد لمثل هذه المكاشفة. قال وهو يفكر بامعنه:

- لا يجب أن تحملني نفسك ذنب تخليك عن الطفل لأنك لم تفعلني ذلك إلا لدافع نبيل وهو منع الفتنة في البلاد.

- يعذبني أنتي فشلت في تحقيق ذلك.

- ولكن ربما لا يكون تفسير رؤياك كما قال العراف. قد لا يكون معنى اطفاء الشمعات الثلاث قتل أبناءك الثلاث بل توحيدهم.

وأشرق وجه الأم كما لم يشرق من قبل:

- ليت الأمر يكون على ما ذكرت. ان داء الفتنة هو في دم كل واحد منهم. يقول أمير الحي الشرقي للأمير الجنوبي والغربي "لم أنت تتكلثرون، ونحن نصبح قلة؟ ويقول أمير الحي الجنوبي لأخويه "لم أنتما تعيشان في ترف على الساحل والسهل وتتركاني في حاجة وفقر كأنني لست منكم؟ ويقول كلا الأميرين الشرقي والجنوبي لأخيهما الأمير الغربي "لم أنت تسمح للمهاجرين أن يعيشوا في كنفك وتروجهم من بنات امارتك؟ أترید أن تتكلث بهم وتتصبح سيد البلد؟"

كانت ابنة الملك تصغي مطرقة لحديث مريبتها ولقصة التي رددتها عليها عشرات المرات. ان عليها أن تحسم هذه الأمور في بلدتها وتضع كل واحد في مكانه.

* * *

كان الملك في خشية من الفتنة التي يمكن أن يثيرها أمراء الأحياء، وكان يغضيهم تقرب الملك للشاب المهاجر، بل ان الشائعات أخذت تسري في البلد بأن المهاجر يعشق الأميرة حتى أنه أعطاها الترائق القليل الذي لديه لينقذه من عنته بينما أخته لازال في معتقل ذوات الفقاريات في قضة ملك الزواحف.

ورأى الملك أن يلتجئ إلى أبناء عمومته الثلاثة عشر الذين كانوا يتخاصمون ستة أيام في الأسبوع ويتصالحون يوما. فلبوا جميعهم الدعوة، ووقعوا كلهم في حب ابنته وانضموا إلى قائمة خطابها الكثر الذين كانت ترفضهم الواحد اثر

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

الآخر. وكان أبناء العمومة في اليوم الذي يتصالحون فيه يشروعون أسلحتهم جميعا نحو المهاجر، يستغيبونه ويتآمرون عليه وينشرون الاشاعات بأنه طامع في حب ابنة ملك البلاد ينتظر اللحظة التي يموت فيها والدها لتصبح ملك يمينه.

سمع المهاجر بتلك المؤامرات التي تحاك للقبض عليه حيا أو ميتا وتسليمه لملك الزواحف، فاعتتصم في جبل، وبنى وفريقه الأسوار لصد كل معتد عليه. وكان كل فريق يشن حملة عليه بحجة مختلفة، فريق يحاربه لأنه يقاوم، وفريق يحاربه لأنه لا يقاوم، والجميع يريدون أن ينتزعوا سلاحه ويتفألوضا باسمه. وأخذ كل فريق ينتظر بشك وحذر إلى الفريق الآخر خوف أن يسبقه إلى البطش بالمهاجر أو أسره أو تسليمه. وتأمروا جميعهم كل على حدة على الرجل الذي قاوم الزواحف بعند سنين طويلة. وكان كل فريق يتمنى لو حظي به فيمزقه أربا، وكل يتهمه بأنه هو الذي يثير غضب الزواحف فتصب على مدinetهم البلاء.

أثخن بالجراح ولكنه ظل منتصرا، وكل من تصدى له عاد منهزاً. وكانت الفتاة العاشقة تسمع عن ذلك الشاب الذي يعامله أهلها كقاطع طريق فيزداد حبها له وتتقد له عاطفتها، فتصب غضبها ونقمتها على كل من ي Kidd له، ويترbus به الشر في السر والعلن.

* * *

ذهبت الأميرة ذات يوم إلى عراف يعيش في عزلة في كوهه على ضفاف النهر عند سفح الجبل. وكان كل يوم بعد أن يستحم في النهر ويقدم فروض الطاعة لخالقه يمعن النظر في كتاب قديم يقص سير الماضي، ويتحدث فيما يتحدث عن قبر العاشق والمعشوق في قديم الزمان. وقرأ أيضا في الكتاب نبوءة تقول بأن تلك الحادثة في التاريخ ستتكرر، وأن كل الدلائل تشير إلى أن دورتها في الحياة آن أوانها. السماء التي اصطبغت بلون الدم، والينابيع التي تغير، والقدر الذي يغلي ويفور. والأوبيئة التي تصيب الناس من سم الزواحف.

لم يدهش حين رأها واقفة تنتظر أن يفرغ من مناجاة ربه. تفرس بالفتاة التي جاءت للقياه وحيدة تسير على قدميها، تستتجد به أن يهديها سواء السبيل بحكمته

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

وفرضته التي تكشف له احتمالات الغيب كالأنبياء. أمعن النظر اليها مليا، وارتعش
كأنما أصابته البرداء وتعتم:

- هل عدت تبحثين عن حجر زمرد مفقود؟ وعقلت الدهشة لسان الفتاة لحظة
ثم تسائلت:

- عم تتحدث يا عماه؟ لعل الأمر اختلط عليك بيني وبين شبيهة لي. فأنا
لأبحث عن حجر زمرد، ولم يفقد مني شيء، ولكنني عاشقة فقد مني سلامي،
وحببي في خطر.

هز العراف رأسه كأنما يتوقع ماجاعت من أجله الفتاة:

- أعرفك جيداً يابنتي.. ابني لا يشغل فكري منذ سنين إلا سعادتك وسلامك.
وسائل الفتاة في دهشة:

- كيف تعرفي وأنا لم ألتقي بك غير اليوم؟ ولماذا يشغل فكرك أمري؟
ابتسم الشيخ الجليل وقال:

- وكيف أكون عرافاً إذا لم أعرف الأحداث قبل وقوعها؟
أحسست الفتاة باللهفة توقف دقات قلبها:

- ماذا تخبي لي الأيام أيها الشيخ الجليل؟

قال الشيخ وعلى وجهه مسحة من حزن حملتها أحياlet ل تستقر في قلبه
وترتسم في عينيه:

حدثها عن أسطورة فتاة تحدث خطابها الكثُر في أنها لاتتزوج إلا من يصعد
بها إلى قمة الجبل التي لم يصلها بشر، فرفض التحدي كل من تقدم لخطبتها عدا
شاب لم يكن له نبالتها، ولكن الشابين لم يعودا أبداً ولم يعرف أحد مصيرهما.

وبلغ الانفعال مبلغه بالشيخ فأجهش بالبكاء وهو يحذثها بقصة الفتاة التي
يحمل في قلبه مأساتها كأنما حدثت البارحة، وكأنما لا يفصله عنها ألف من السنين.
ثم أردف قائلاً:

- حتى والدها لم يشفق عليها وهي ابنته الأثيرة. لأنه هو الذي أرسل من
طرفه من أسقطهما قبل أن يصلا إلى أعلى الجبل.

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

وذعرت الفتاة :

- لا، لا يمكن لوالدي أن يسلمني إلى مثل هذا المصير، العالم تغير، والعصر تغير. وابتسم الشيخ متهمكاً:

- لو لم يكن مشرفا على الموت لفعل ذلك إنقاذاً لعرشه. ان قصص الحياة تتكرر، وهل كان الغيب يجلـى لنا لو لم يكن في جعبـتنا كثير من قصص الماضي التي تتكرـر؟ احذـري يا بـنتـي، خصومك أشداء كما كان خصومـها، ولكن حظـك قد يكون أفضل من حظـها اذ لا يضاف اليـها خصومة الأب الذي يضـحي بك ليـقـى له عـرشـه. وخـصومـك أيضاً يتـوـدونـ اليـكـ لـيـفـوزـ أحـدـهمـ بـقـلـبـكـ. فـمـصـيرـكـ مـرـتـبـطـ بما يـسـفـرـ عنـ هـذـهـ القـوىـ المـتـصـارـعـةـ فـيـماـ بـيـنـهـاـ. لـنـ يـمـسـكـ أحـدـ بـأـذـىـ، وـيـحـمـيـكـ تـظـاهـرـ كـلـ فـرـيقـ بـحـمـائـكـ.

- ولكنـ يـاعـمـاهـ لـمـ تعـطـنـيـ جـوـابـ شـافـياـ.

- ليسـ يـابـنـتـيـ فـيـ عـلـمـ الغـيـبـ جـوـابـ شـافـ، لأنـ هـذـاـ يـلـغـيـ نـشـاطـ الـانـسـانـ. ولكنـ هـنـالـكـ صـورـةـ صـحـيـحةـ لـلـوـاقـعـ، عـلـيـنـاـ أـنـ نـسـجـلـيـهـاـ.

- أـرـشـدـنـيـ إـلـىـ هـذـاـ الـوـاقـعـ.

ونـظرـ العـرـافـ إـلـىـ بـعـيدـ، وـعـيـنـاهـ تـرـوـدـانـ الـمـسـتـقـبـلـ:

- كلـ السـيـوـفـ تـتـحـطـمـ إـلـاـ سـيفـ الـمـهـاجـرـ لأنـ لـهـ قـضـيـةـ. هـذـاـ مـاـ تـقـولـهـ الـكـتبـ الـقـدـيمـةـ. وـلـكـ أـخـبـرـيـنـيـ هـلـ هـوـ قـادـرـ عـلـىـ حـمـلـ الـأـمـانـةـ فـيـ عـنـقـهـ؟

- كـيـفـ أـدـرـيـ وـهـوـ مـحـاـصـرـ مـنـ جـمـيعـ الـفـئـاتـ الـتـيـ تـخـطـبـ وـدـيـ؟

* * *

نقلـتـ الـراـقـصـةـ فـيـ الـيـوـمـ التـالـيـ إـلـىـ مـعـقـلـ لـلـنـسـاءـ، كـنـ جـمـيعـاـ مـنـ ذـوـاتـ الـفـقـارـيـاتـ. كـانـتـ النـسـاءـ وـالـفـتـيـاتـ هـنـ عـلـىـ الـغـالـبـ فـيـ سـنـ الإـنـجـابـ وـبعـضـهـنـ حـوـامـلـ وـقـعـنـ أـسـيـرـاتـ فـيـ قـبـضةـ مـلـكـ الزـواـحفـ، وـاستـولـتـ عـلـيـهـنـ حـالـةـ مـنـ الـرـعـبـ وـالـانـكـسـارـ وـقـدـانـ التـقـةـ بـالـنـفـسـ يـرـشـىـ لـهـاـ، وـكـثـيرـاتـ كـنـ يـتـمـنـيـنـ الـمـوـتـ وـيـسـعـينـ إـلـيـهـ عـلـىـ الـعـارـ الـذـيـ يـنـتـظـرـهـنـ. شـاهـدـتـ الـراـقـصـةـ بـيـنـهـنـ فـتـاةـ لـاـ تـجـاـزـ الـثـانـيـةـ عـشـرـةـ مـنـ

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

عمرها تحمل على ذراعيها طفلا في سن الرضاع، وكانت امرأة لعلها أنها تتهرب
قائلة:

- لماذا لا ترکين الطفل يموت دون إرضاع؟

فتقضم الفتاة الصغيرة إلى صدرها. إنها لا تدرك من العالم إلا أن الطفل من
لحمها ودمها.. ما ذنبه ليدفع ثمن جرائم العنف المنظم الذي يقترفه الرجل المدجج
بالسلاح، وقد انفلت غرائزه تجاه الأنثى العزلاء زمن الحروب؟
كانت الفتاة تشده إلى صدرها كلما أمعنت الأم في تكريعها:

- أتحتفظين بزاحفة تتهش صدرك يا بنتي؟ أتعودين إلى القرية وعلى
ذراعيك طفل؟ من يتزوجك بعد ما جرى لك؟

الطفل يبكي من الجوع، ولا تستطيع الأم الطفلة أن تسمع صراخه دون أن
تلقمه ثديها. تنظر إلى أمها متضرعة بعينيها النجلاويين الواسعتين الدامعتين في
الوجه النحيل وتقول هامسة:

- كفى يا أمي، لا أحتمل أن أفترف جريمة في حق الطفل، إنها ارادة الله.
ولكن الطفل لن يكون زاحفة أبدا.

لم تستطع الراقصة أن تعرف من أفواه النساء الظروف التي عانينها وما
تعرضن له من إذلال. كن يتحاشين الحديث في هذا الأمر، وكل واحدة تخفي
جراحها وتجربتها المرة في أعماقها دون أن تعلنها لأحد.

في اليوم الذي وصلت فيه الراقصة إلى ذلك المكان، جاء أمر بإطلاق سراح
الفتاة التي تشده إلى صدرها ثمرة محرمة بعد أن استهلكت ولكنها لم تجرؤ على أن
تغادر المعتقل. إنها تخشى العودة إلى قريتها وذويها ان كانوا لا يزالون على قيد
الحياة، فيعاملونها معاملة مهينة أو يجبرونها على قتل الطفل. وكلما سئلت فيما
تمهلها بالبقاء في المعتقل فغرت فاها دهشة. ماحاجتها إلى الحرية ان كانت
ستعيش حياة أقسى من تلك التي تعيشها الآن في المعتقل؟ "أريد أن أطعم ابني.." .
لاأستطيع أن أرضعه وأعمل في آن واحد" وكان المسؤولون عن إطعام السجينات
يشفرون عليها ويخصونها ببعض الأطعمة كي يشعرون الصغير من حليبها.

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

في كل ليلة يأتي السجان ويقود فتاة يانعة بعمر الزهور الى التحقيق في قصر ملك الزواحف، وتعود الفتاة منكسرة حزينة لا تكلم أحداً، وتبقى منطوية على نفسها، مسلوبة الإرادة، مكتتبة النفس، دامعة العينين، مسحوقة الفؤاد؛ أما من تستعصي فإنها لا تعود أبداً. كم من فتاة أصيبت بالإنهيار العصبي نتيجة لذلك الوضع المتكرر وحاولت الإنتحار، أو أسلمت نفسها الى خبرة عجوز جاهلة فماتت من الإجهاض.

صممت الراقصة على أمر.. رقصة الموت.. ستمارس تلك الرقصة مع كل من يحاول الدنو منها.

قالت لملك الزواحف:

- لن أسلمك نفسي حتى أرقص وإياك رقصة الموت.

- ماذا تعنين؟

- أي أن أحدها يجب أن يموت في هذه الرقصة. تنهار قواه حتى التلاشي والفناء، فهل أنت مستعد لذلك؟

تردد ملك الزواحف قبل أن يقول:

- ليس قبل أن أدفع إليك بأفضل جندي.

- إن خسر أحد أعوانك حياته، فعليك أن تسرّح عشرة من فتيات المعتقل فيعدن إلى أهلهن. فهل أنت مستعد أن تلتزم ببنود الإتفاق؟

- نعم

- أنا لن يكون لدى ما أدفع به عن نفسي الا رشاقة قدمي وقناعاً أضعه على وجهي يخفي هويتي. سأرقص الروomba والسامبا والكونغا والمامبو، وعلى شريك أن يقلدني في حركاته.. فإذا غلبته كان لي عليه حق التصرف به كما أشاء وإن غلبني فعل بي ما يشاء.. أما أنت فسأحتفظ لك برقصة باليه أكون فيها حافية القدمين، فتدرّبمنذ الآن على القفز والدوران والخطوات الراقصة على أصابع القدمين وسأحذرك بأن وضع جسدك الخاطئ سيعرضك لمخاطر جمة فليس سهلاً على الزواحف أن يقلدوا ذوات الفقاريات. وبما أنك سيد عشيرتك فإبني أعطيك امتيازاً بأن أرقص وإياك على حبل، فتستطيع بذلك أن تحني وتنمدد وتلتوى

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

وتعض بنواجذك وتغرز في سبك، ويعفيك هذا من ارتداء حداء الرقص الذي يسبب لك الأذى وفقدان التوازن والسقوط من شاهق على الأرض الصلبة. أما مدة الرقصة فهي ثلات ساعات إلا إذا سقط أحدها صريعا.

* * *

كان أمراء الأحياء وقد لج بهم لاعج الهوى يأتون إلى الملك واحداً إثر الآخر يطلبون يد الأميرة فيقول لهم "أنا لا أختار لها إلا ما تختاره لنفسها". وأشار هذا الجواب غضب أمير الحي الشرقي الذي كان يعتبر نفسه أنه الأكفاء والأجدار بين إخوته لاعتلاء العرش بعد وفاة الملك. أما مadam الأمر يترك لقرار الأميرة فربما اختارت سواه، وما كان حبه للأميرة هو حب لشخصها فهوah كان دوماً في ركوب الخيل و مباراة الصيد والتربع على كرسي الملك. وغداً قلقه من أن تختار الأميرة سواه يقض مضجعه فيجافي النوم عينيه، وكثيراً ما حاول أن يطارحها الغرام فتجفل منه ولا تستجيب لعواطفه المتكلفة.

وبلغ به الجنون أن أخذ يدبر المكائد باتفاق مريب مع ملك الزواحف، وانتهى به الأمر إلى وضع قبلة موقوتة في قصر الملك فنسفه نسفاً، يريد بذلك أن يتخلص من الملك والأميرة فيستتب له الأمر. وما ردعته عاطفة البنوة أن تكون أمه واحدة من ضحاياه. ولكن الله نجى سكان القصر بأعجوبة إذ علم بالأمر قبل وقوعه، وأخلي القصر قبل حدوث الإنفجار بوقت قليل.. وبقي الملك بعد هذه الحادثة أكثر إصراراً وأشد عناداً أن يعطي ابنته حق التصرف بمصيرها والزواح من تحب.

قالت الأميرة لخطابها الكثُر الذين جمعتهم في ساحة المدينة:

- أنا لن أختار من بينكم إلا ذلك الذي يأتي بالترنياق لوالدي من قصر ملك الزواحف فيعيد له الصحة والعافية.

ولكن أحداً من أمراء الأحياء الثلاثة، وأولاد عمومتهم الذين يتشاجرون ستة أيام في الأسبوع ويتصالحون يوماً، لم يكن راغباً بالمجازفة بحياته ليحصل على الترياق. وصدقوا على الفور الإشاعات التي تقول بأن الأميرة تدفعهم عنها لأنهما وقعت في حب المهاجر، فهو الوحيد الذي لا يملك النبلة التي يملكونها ويحق لها

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

التقدم بها لخطبتها. وإلى ذلك يملك الجرأة والمغامرة والتدريب للحصول على هذا الترائق ولو كان الثمن حياته. ولأول مرة منذ عهد بعيد وضعوا أيديهم فوق بعضها البعض وأقسموا اليمين على الوحدة واتفاق الكلمة في أن يسلموا المهاجر إلى ملك الزواحف. ولكن كل فريق كان ينظر بشك وحذر إلى الفريق الآخر خوفاً أن يسبقه إلى البطش بالمهاجر أو أسره أو تسليمه. وتأمروا كل على حدة على الرجل الذي قاوم بعناد سنين طويلة ، وكان كل فريق يتمنى لو حظي به فيمزقه إرباً ، والكل يتهمه بأنه السبب في كل ما أصاب مدینتهم من بلاء.

* * *

سمع المهاجر بتلك المؤامرات التي تحاك للقبض عليه حياً أو ميتاً وتسليمه لملك الزواحف فاعتتصم في جبل كان ملك الزواحف قد بنى قصره عليه بين الصخور الخطرة التي لم يصل إليها أحد. وأخذ يصرف النهار في القبض على الزواحف الشاردة، ويستشف منها سمعها ليعث به إلى الملك المريض كترائق يشفيه من عله. وأخذ في ترقب محموم ينتظر الهجوم عليه من خصومه الكثري عشاق الأميرة . وذات يوم صعدت الصخور امرأة كهله تطلب منه أن يسرع إلى القصر لأن الملك حالته خطيرة ، فجمع ما لديه من ترائق وأسرع برفقتها.

خلف الجبال الزرقاء كانت الشمس تبزغ خجلة وجلة وتوقظ السهول المرحة بخضراء زاهية وتوشى الأشجار المثمرة بالنوار ، وحمام يهدل في أيك قريب ، والنحل يغمغم وهو يرشف الرحيق. كل شيء يوحى بالسلام والحب، وتأوهت الأميرة والحزن يعصر قلبها:

"لماذا عليها أن تغادر البلاد؟"

كان القصر الذي انتقل إليه الملك وبنته وحاشيته خارج بيروت التي عم فيها الفوضى.. أشرع أمراء الأحياء سيفهم وارتدوا الخوذات والدروع وفعل ذلك كل من والاهم، وامتلأت الكنائس والمساجد والمزارع بأكوان الأسلحة .. أحيا نتصف وسيارات تتاجر وبنيات تنهار وأجساد طرية تعجن في التراب وسفراء وزراء ورجال علم يغتالون في الظلام.

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

قال الملك لابنته:

عليك أن تغادرني في الغد.. حجزت لك مكاناً في الطائرة وسيرافقك حرس يديرون شؤونك في الخارج. فاتركي هذا المكان الملعون وانجي بنفسك.

- ولكن يا والدي لا أستطيع مغادرتك وأنت مريض..

- أصبحت عاجزاً عن حمايتك يا بنتي.. صدقيني ليست لدي قوة ترد الأماء عن غيهم أو ترد أذاهم عنك. وحتى لو اخترت أحدهم فإن الحرب العينية فيما بينهم ستقع. إن شهوة السلطة استبدت بكل واحد منهم، ولست أدرى عن أي شيء يسفر هذا الصراع المميت..

وصل المهاجر متکراً بلباس راعي.. كان يحمل معه قليلاً من الترiac لوالدها هو كل ما لديه. فزرقه إبرة نام بعدها نوماً هادئاً وخفّ توجعه:

- إنه بحاجة لكمية كبيرة من الترiac يؤخذ بالتدريج كي تتحسن حاله، وتصبح له مناعة ذاتية لو تعرض مرة أخرى للدغ ثعبان.

جلس إليها كعادته غير دار بما تخبيه له من أخبار.. حدثته بقرار والدها فأطرق الشاب وقد ودعه هدوءه، وشحب وجهه ناقراً بعقد أصابعه زجاج النافذة بعصبية ظاهرة.

- أنت الأخرى تهاجرين؟

وأجبت الأميرة بنفس مهيبة:

- أهجرها مرغمة كما تقلع شجرة متغللقة الجذور من نبتها. إنني لو خيرت لأبيت أن أتخلى عنها مهما تلبد الجو بالعواصف. أنت تعلم أنني أستشعر السعادة بقدر ما يرتفع ويسمو الواجب وبقدر ما تعظم المسؤولية.. أعلم أن مكاني هنا وليس في بلد آخر وهذا ما يجرح ضميري. أتعلم أي نهار أمضيته البارحة؟ لعلك تلاحظ أثر انتفاخ عيني. أضررت عن الطعام وكانت حزينة ساخطة كمن يساق إلى الموت.. كنتأشعر بانني أريد أن أحطم شيئاً أو أحطم نفسي. ولكنني عدت إلى صوابي. إن والدي على حق وروية في قراره. عرفت أن البقاء انتحار مهما غالطت وموهّت، فما كان لي إلا أن أذعن لتيار الهجرة بجرفني شئت أم أبيت.

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

وغض الشاب على شفتيه ولم ينبع ببنت شفة، وجالت عيناه في أنحاء الغرفة ثم استقرتا على النافذة تنظران بألم دفين الى جماعات المدنيين وزراراتهم يتسابقون طريقهم الى البحر، وزفر زفارة حرّى.
ومضت فترة طويلة ران فيها الصمت والسكون، وهمست الشابة: "كأني به يوم الحشر!"

ونظر الشاب إليها كأنه لم يسمع ما فاحت به، وكان هناك ما يشغله عن كل حديث إلا ما يعتاج في نفسه.. لم تنظر اليه بحنان، لم تقل كلمة تبعث في نفسه الأمل.

- أما لديك كلمة تقولينها قبل سفرك؟
- كلمة! ابني أتحدث طيلة الوقت وأنت صامت فآثرت السكوت. ماذا تريديني أن أقول؟

- أهذا كل ما عندك؟

- نعم

وبدا له أنها لاتعامله كما يجب في مثل ذلك الموقف، وأنها لانقدر أبدا المخاطر التي يتعرض إليها للحصول على الترائق.

أمسك بيدها يجلسها وقد همت بالخروج:
لن أتركك تذهبين.. أريد أن أسرّ إليك بأمر فمن يدري أنني سأراك مرة أخرى ونحن على أبواب حرب طاحنة لاندري من هنا يسقط فيها ومن يكتب له السلامة.

كان وجهه مربدا وقد زوى ما بين حاجبيه:

- هناك من يشكوا منك شكاوة مرة:

وصمت وهيئته لايفارقها التجهم، فاضطراب قلب الشابة وفكرها في مجاهيل ما يمكن أن يقول وأجابات:

- لا أعرف أحدا يحق له أن يشكوا مني.. أنا التي نالهاسوء من كل ما يجري حولي..

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

سره وأرضى شعوره أن يستثير عواطفها فلم يقو ضباب العبوس على مواراه شبح ابتسامة عبئا حاول إخفاها.. انفرجت أساريره فجأة ثم نظر اليها نظرة طويلة كأنه يقول "ألا تدركين؟ لم التجاهل؟ الوقت أقصر من أن نحجب به عواطفنا.. غدا أنت راحلة فكى برودا وكفى تصنعا، إنه قلبى الذى يشكو أفالا تعطفين؟ ألا ترين أنه أحبك حبا مبرحا عذب أيامه وليليه؟ ولما لم يجد انعكاس نظرته في عينيها وصدى عواطفه في عواطفها أطرق مكتبا غاصباو قال:

- إنه يتهمك بالقسوة والأنانية.

فأجابـت مبتسمـة:

- هذا اتهام فظيع!.

وهز رأسه موافقـا على كلامـها:

- نعم اتهام فظيع لو تعلمين.. الفتاة تفقد نصف جمالها عندما يفتقد رجل أحـبـها الحنان والإهتمـام فلا يـجـدهـما حتى لو كانت تلك الفتـاةـ أمـيرـةـ.

وانطفـأتـ منـ فـمـ الشـابـةـ ابـتسـامـتهاـ وـاعـدـلتـ فيـ مـكـانـهاـ وـقـالـتـ:

- أـفـصـحـ! أـنـرـانـيـ أـسـأـتـ الـيـكـ أـنـتـ بـالـذـاتـ؟

- بل أـسـأـتـ إـلـىـ نـفـسـكـ، إنـهاـ قـسـوةـ وـأـنـانـيةـ أـنـ تـنـرـكـ مـديـنـتـكـ فيـ صـرـاعـ دـامـ بينماـ كـانـ فيـ وـسـعـكـ أـنـ تـخـتـارـيـ فـتـضـعـيـ حـدـاـ لـلـطـمـوـحـاتـ الفـرـديـةـ ، وـتـجـدـيـ قـرـبـكـ منـ يـسانـدـكـ بـحـقـ وـيـحـمـيكـ.

صمـتـ الفتـاةـ، خـشـيتـ فـيـ تـلـكـ اللـحظـةـ أـنـ يـكـونـ الشـابـ قدـ انـضمـ إـلـىـ قائـمةـ عـشـاقـهـاـ، وـأـنـهـ هوـ الآـخـرـ يـحـمـلـ فـيـ أـغـوارـهـ أـطـمـاعـاـ فـيـهـاـ.. وـحـارـ الشـابـ فـيـ صـحرـاءـ صـمـتـهـاـ، أـنـرـانـهاـ غـاضـبـةـ؟ أـنـرـانـهاـ رـاضـيـةـ؟ مـاـ مـوـقـعـ كـلـامـهـ فـيـ نـفـسـهـ؟ إـنـهـ يـنـظـرـ إـلـيـهـ فـلـاـ يـتـبـيـنـ مـاـ يـجـولـ فـيـ خـاطـرـهـ، وـيـتـبـعـ أـفـكـارـهـ فـيـ درـوبـ مـظـلـمـةـ، وـيـخـشـيـ العـثـرةـ وـالـإـنـزـلـاقـ.

ورـفـعـتـ إـلـيـهـ عـيـنـيـهاـ فـالـنـقـتـ عـيـنـاهـماـ وـهـزـتـهـ رـعـشـةـ لـذـيـذـةـ. آـهـ إـنـ الحـبـ لـاـيـعـرـفـ لـهـ حـدـاـ يـقـفـ عـنـدـهـ، وـتـمـنـيـ لـوـ أـنـهـ لـمـ يـعـرـفـهـاـ وـلـمـ يـعـلـقـ قـلـبـهـ بـهـاـ، وـقـدـمـ لـهـاـ التـرـيـاقـ

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

هدية مجانية لا يطلب ثمنا له حتى عرفان الجميل.. ولكنها هي ذا لا يكمن في حياتها عنصر سلام ، بل مزيدا من البلبلة وتنافر المصالح في البلاد.

بعد برهة من التفكير تكلمت الأميرة بصوت هادئ منخفض:

- كن صريحا، وسأكون كذلك.. لن أدع لسوء التفاهم مجالا يسعى بيننا..
يجب أن أعرف موقفك مني وموقفي منك بغير مواربة ولا خداع..

وخفق قلب الشاب.. وانت الفرصة لينقض خبيئة نفسه.. وتسابقت إلى حلقه تعbirات منمقة فخذلها، وما مررت من بين شفتيه سوى كلمة واحدة زلزلت كل كيانه "أحبك!" .. كان صوته راجفا متعلضاً، وانقض قلب الشابة لحرارة الكلمة واشتد خفقاته فاستنشقت عميقاً أنفاس الهواء لتختنق العاطفة الطاغية المثاره وأجابت:

- أغلقت قلبي دون الحب.. لا يحق لي أن أفكر في مثل هذا الأمر.. لا أسمح لنفسي بالتمادي فيه.

- وأنا أيضاً لا أسمح لنفسي بالتمادي فيه.. إنه منذ البداية حب لأمل فيه، ولو استطعت أن الجمه في أعماقي لفعلت..

- إنني مدينة لك بالكثير، بهذا الطريق الذي تعرض نفسك للمهالك كي تأتي به لوالدي، ولكنني أعلم أيضاً أنه لن يكون أبداً ثمناً لحبي، كنت أضعه حجة كي أبعد الخطاب عنِّي، لأنني وهبت نفسي لحب أعظم وأوسع. السلام في مدینتي!

- أنا لا أطلب منك إلا أن تمنحيني ثقتك، أما هذا الطريق فلا علاقة له بحبي لك، وسابقى على اتصال بوالدك وأرسله إليه كلما توفر لدبي.. إن صراعي مع ملك الزواحف كان قبل معرفتي بك، ولا تنسى أن أختي لاتزال أسيرة في قصره، وأنني أقسمت وإخوتي الأربع على خلاصها منه.

تنفست الأميرة الصعداء، هاهي ذي أمام شاب يحبها لذاتها لاطمعاً في ميراثها، ولو خيرت لاختارته زوجاً لها، فسعادة الفتاة ليست بمجد أو شهرة بل بحب ملتهب يصهرها فيه حبيب مخلص. كان في أعماقها صوت داخلي يحفزها "لاتبعثري عطف قلبك على من لا يريده ولا يقدرها، بل اسعدي به رجلاً يحبك ويحن إليك.. غداً أنت مسافرة فانعشيه بكلمة.. دعيه يعيش بهذا الأمل العنيد، أمل

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

قربك. لاتضيعي شبابك، لاتضيعي أثمن أوقات حياتك.. إن لقلبك عليك حقا.. إنه ينتقم منك إن أمعنت في كبت رغباته!"

كان الشاب ينظر إليها وكأنه يقرأ الصراع في نفسها في كتاب مفتوح فقال:
- ابني أعلم بالقيود التي تأكلك بها أسرتك في أن لا تختراري زوجك إلاّ من وسطها..

- لم أجد من بينهم من يرتاح له قلبي، ولهذا قررت أن أبقى دون زواج بهذه هي الطريقة الوحيدة كي أشدّهم حولي.

- إنك تحرمين نفسك أجمل وأروع ما في الحياة .. إنك لاتعلمين ما معنى أن يحبك رجل!.

وأكب على يدها يغمراها بقبلاته، فجذبها بسرعة وصدرها يعلو ويهبط:

- لا، لاتخاطبني بمثل هذه الرقة والحنان وتوقظ في نفسي رغباتها. أرجوك ربما لنت إليك في غمرة تأجج عواطفني ووعدتك بشيء، ولكنني سأندم وسأشعر أنني أخون شعبي وأتخلى عنه، وسينتهي دوري في أن أصبح سيدة هذه البلاد! سيضيق الوعد علي الخناق وأمقت أسارير ولا أستطيع منه خلاصا، فتذبل في نفسي لذة الشعور الجميل الذي يربطنا سويا بغير قيد.

- بماذا أفسر الهزات العنيفة التي تتنابني عند ذكرك أو لقائك.. كنت أحسبها رسالة روحية بين قلبينا.. فإذا بي أعلل نفسي بالأوهام.. أنا لا أعرف كيف أهدى النار المتأججة في ضلوعي.. أشقيتي وحطمتني.

- لا يشقى ولا يتحطم من يحبني مخلصا ولو أنه حب بغیر أمل بل يكون حبه لي حافزا لتحقيق أحلامه واستخلاص أحلام ما في نفسه من شعور وعاطفة.. ما أنا إلاّ كشجرة ظليلة يستريح عندها إن يجهده السعي، ونبع يرثوي منه ان يظمأ إلى التقدير والعرفان. وعكاذا يستند إليه ان يعزوه المشجع والنصير.

ارفع رأسك.. كن جديرا بما أحمله لك من إعجاب ومن ذكري طيبة..
ودعني أسافر غير حزينة الفؤاد معدبة الضمير.

ورفع رأسه كمن أطلق آخر سهم ولم يصب الهدف وقال واجما كئينا "وفقاك

"الله!

* * *

لم تتم الأميرة تلك الليلة.. استعادت في ذهنها ما قاله العراف عن أسطورة تلك الفتاة التي صعدت الجبل لتخبر حب الرجل الذي تريده زوجا لها ومدى إخلاصه، فبعث والدها بمن ألقى بهما إلى الهاوية قبل أن يصلوا إلى القمة.. أترى هذه الرحلة التي أرادها والدها أن تقوم بها إلى الشمال لسلامتها هي للتفرق بينها وبين من تحب؟ خطر لها هذا الخاطر عندما جاءها المهاجر بالترنيق لوالدها. أسبابها الرعب أن يطالها بالوفاء بوعدها، ولكن لدهشتها تبينت أنه لا يخاطر حياته من أجل يدها، بل لأن بيته وبين ملك الزواحف ثأر قديم، والترنيق هو نتيجة لفوزه في المعارك الصغيرة وليس شبكة مهر لها.

كَبَرَ فِي عَيْنِيهَا فَجَأَةً وَاحْسَتْ نَحْوَهُ بَحْبَ عَارِمٍ يَقْطَعُ عَلَيْهَا أَنفَاسَهَا.. إِنَّهُ يَعِيشُ فِي مَحْنَةٍ، مَحَاصِرٌ فِي الْجَبَلِ وَسَيِّفٌ كَثِيرٌ مَشْرُعٌ حَوْلَهُ، وَمَلَكُ الزَّوَافِ فِي تَرْقُبٍ مَحْمُومٍ يَنْتَظِرُ لِلْحَظَةِ الْمَنَاسِبَةِ لِيُطْوِقَهُ وَيَنْقُضَ عَلَيْهِ وَيَلْدَغُهُ لَدْغَةَ الْمَوْتِ، وَهِيَ تَرِيدُ أَنْ تَسَافِرَ وَتَرَاهُ فِي بَلَادِ الشَّمَالِ بَعِيدَةً عَنِ الْمَتَاعِبِ! فَأَيْنَةُ أَنَانِيَّةِ هَذِهِ، وَأَيْنَةُ قَسْوَةِ؟

أَفَاقَ الْمَلَكُ فِي الْيَوْمِ التَّالِي وَقَدْ خَفَتْ الْحَمْىُ وَالْأَوْرَامُ فِي جَسَدِه.. هَذَا التَّرْنِيَّقُ لَهُ فَعْلُ السُّحْرِ فِيهِ.. لَوْ تَكَرَّرَتِ الْجَرَعَاتُ الَّتِي يَأْخُذُهَا مِنْهُ لَشَفَافِي وَتَعَافِي دُونَ شَكِ..

قَالَتِ الْأَمِيرَةُ لَوَالَّدِهَا صَبِيَّةُ الْيَوْمِ التَّالِي وَهُوَ يَسْتَحْثِهَا لِلْإِسْرَاعِ، لَأَنَّ الطَّائِرَةَ الْخَاصَّةَ الَّتِي سَتَقْلُهَا تَقْلُعُ فِي وَقْتٍ مُحَدَّدٍ، وَالْكُلُّ يَنْتَظِرُهَا فِي الْمَطَارِ:

- أَبِي، إِنِّي عُودْتُكَ دَائِمًا أَنْ تَتَرَكَ لِي حَرِيَّةَ اخْتِيَارِ قَرَارِاتِي بِنَفْسِي وَخَصْوَصًا فِي الْأَمْوَارِ الْحَاسِمَةِ.. فَكَرِتَ مَلِيَا لَيْلَةَ الْبَارِحةِ، أَنَا لَا أَرِيدُ أَنْ أَغَادِرَ بِلَدِي وَخَصْوَصًا فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ فَابْعَثْتُ بِمَنْ يَلْغِي لِي مَوْعِدَ السَّفَرِ.

أَسْفَ الْمَلَكُ لِقَرَارِ ابْنَتِهِ وَقَالَ وَاجْمَأَ:

- يَا بَنْتِي أَنَا لَا بُتُّغِي سُوَى سَلَامَتِكَ.. التَّأْجِيلُ قَدْ يَضْرُكَ حِينَ تُحِيطُ بِكَ الْمَخَاطِرُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.. لَسْتَ آمِنَّا عَلَيْكَ أَنْ تَكُونِي وَسْطَ الْصَّرَاعِ الدَّامِيِّ الْمُقْبِلِ..

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

- أعرف ذلك، ولكن بقائي ضروري حتى يصلك الترياق في موعده ونتعافي تماماً. أمراء الأحياء جميعاً يحاصرون الجبل وينعون المهاجر ورجاله من الحركة وتؤخِّي أسباب العيش.

كانت مربية الأميرة تبكي في ركن من غرفتها حين دخلت عليها الأميرة فظلت أنها جاءت لوداعها ولجت في البكاء.. ما كانت في صحة تسمح لها بمرافقه الأميرة في غربتها. فلما علمت بإلغاء السفر تحول حزنها إلى فرح لا يوصف. وأحببت كذلك المهاجر كواحد من أبنائهما، بل كان أقرب إلى قلبها منهم، لأن المنافسة الشديدة جعلت منهم رجالاً قساة لا يرعى أحدهم حق الأخوة ولا الرحم الذي حمل بهم جميعاً.

* * *

في الصالة الواسعة، في قصر ملك الزواحف، كانت الراقصة المبدعة ترتدي حذاءها المجنح وتبازز أعتى أعوانه واحداً بعد آخر في رقصة الموت، وهو يشهد فنها الرائع ويرتعد فرقاً أن يؤدي الأمر إلى فناء عشيرته كلها. فإذا ما تهالك أحدهم وفارقته قدرته على الحركة أمسكت برأسه وأجبرته على أن ينفك سمه في إماء وأغلقته بإحكام ثم لوحت بالثعبان العاجز ورمته خارج القصر. وذهبت لتوها إلى معقل النساء حسب بنود الإتفاق وحررت منها عشراء، وأسلمتهن الترياق ليبعنه في طريقهن إلى الرجال الذين يلتجئون إلى المغاور القريبة، وهي لا تدري أن أخيها التوأم يرأسهم. ولم تكن الفتيات ليرجعن إلى قراهن وذويهن بل يصبحن زوجات لرجال المهاجر، وأخذن في مقرهن الجديد يرععن الأغنام، وينجبن الأطفال، ويشوشن لحوم الزواحف العاجزة، ويقطفن ما يوجد به الجبل من ثمار ونباتات برية ويحملن الماء من الينابيع التي تتفجر مياهاً في كل مكان. وكان المهاجر بدوره يشتري الترياق الذي تبعث به أخته ويضيف ما حصل عليه بدوره ويرسله إلى قصر الملك مع رسول أمين يطلب مقابلة مربية الأميرة ويعطيها إياه في موعد محدد من كل شهر، وهو لا يعلم أن الأميرة ألغت سفرها..

قالت الأميرة لمربيةها التي لاتخفي عنها سراً:

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

- أترین أنه لا يخلف وعده؟ أليست نبالة الخلق هي خير من نبالة الدم التي تتمسك بها أسرتي؟

- أعلم أنه أحق الناس بك، ولكن للملك مقاييس لانعترف بلغة القلوب يا بنتي ..

- منذ أكثر من عام والحصار قائم، أشعر بحاجة إلى الذهاب إلى العراف لأعرف منه آخر أنباء القتال، وأستطيع مستقبلي .. فهل ترافقيني إليه؟

- بالطبع يا بنتي فأنا أشعر بالنشاط منذ أصبحت أعالج نفسي بالترنياق .. إن قليلاً منه أعاد إلى مفاصلي الحركة وأزال الألم، وما عدت بحاجة إلى عصا وأنا أسير ..

لم يقل العراف إلا جملته المعهودة "كل السيفون تتحطم إلا سيف المهاجر لأن له قضية، هكذا تقول النبوءات القديمة!".

كانت المعركة قائمة على قدم وساق، رعد وبروق وخیول تجري هنا وهناك، وجرحى يأتي بهم رفاقهم ليعالجهم العراف بالأعشاب الطبية.

سألت المربية العراف بلهفة:

- ماذا يقول الرسل؟ ما أنباء أمراء الأحياء؟

- أمير الحي الجنوبي هو وحده الذي يتوجل في الجبل ويتقى .. وسمعت أخيراً عن حلف قام بينه وبين المهاجر .. إن من نقل إلى الخبر يقول بأنه منذ زمن يعشق أخته، وأقسموا معاً اليمين على تخليصها من قصر ملك الزواحف.

سألت الأميرة بدورها:

- ما أنباء المهاجر؟

- لا يضيره الحصار .. إن مدينة تتشكل وأسراً تنمو وتكبر .. يستطيع احتمال الحصار عشر سنين أخرى، ولهذا ارتأى الأمراء دعوته للمبارزة قبل التحدى .. ومنذ مدة وجيبة بارز أمير الحي الغربي وجرحه وجيء بالأمير إلى فعالجه، وقبل مؤخراً تحدي أمير الحي الشرقي قبل أن يبراً جرح ذراعه.

سألت الأميرة بقلق:

- هل جرح؟ كيف كان ذلك؟

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

أصيب بسهم غادر في ذراعه من كمين نصب له، وجاء الي لمعالجه..

وصمت العراف لأنما كان يحاول أن يبوح بأمر فيرتد عنه.

قالت المربيّة :

- ما كان يجب أن يقبل التحدي قبل أن يبرا جرحه، فلن تكون المبارزة عادلة.

- ليس هذا فقط ما يقلقني .. إن ما يقلقني أكثر هو أنني شاهدت على كتفه وشم نسر ..

ما أن سمعت المربيّة هذا القول حتى أغمي عليها. فأنشدتها العرّاف بالأشير فاستفاقت وأمسكت بيد الأميرة :

- النبوءة تتحقق .. إنه إبني .. فاذهبي اليه وامنعيه من مبارزة أخيه .. مكتوب في لوح القدر أنه سيطفي شموع إخوته الثلاثة ! وأضاف العرّاف :

- ويصبح نجما ساطعا في السماء .. هكذا تقول النبوءة القديمة ..
ما كاد العرّاف ينهي قوله حتى شاهد فارسين على جواديهما في كر وفر غير بعيد عن المكان .. كان أحدهما يبارز بيده اليسرى فعرف أنه المهاجر الجريح الذي شاهد وشم النسر على كتفه ..

طار سيف فارس في الهواء وتدحرج على الأرض .. وأمسك الجميع أنفاسهم ليروا ما يحدث، وأخذت أم الإخوة الأعداء تتنهل إلى الله "رب" ، لاتسمح أن يقتل الأخ أخيه ! ثم تلقت إلى الأميرة "اذهبي اليهما، فأنت الوحيدة التي تستطيع أن توقف هذا القتال"

وتبتسم الأميرة، كانت هادئة الأعصاب على غير عادتها:

- لا تخشي شيئا .. لا تذكرين يوم حدثته بقصتك كيف قال لك "إن العراف أخطأ في تفسير الحلم بأن ابنك الأصغر سينقتل إخوته الثلاثة، كان الأقرب إلى الصواب أن يفسره بأنه سيوحدهم" ..

وما جرى بعد ذلك جعل الجميع يمسكون أنفاسهم. نزل المهاجر من على فرسه وتناول سيف خصمه وناولة إياه ليستمر في مبارزته، ولكن أمير الحي

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

الشرقي فقد الرغبة في استمرار المبارزة. وفيم يحقد على المهاجر وأخوه أمير الحي الجنوبي هو الذي سيصل قبل الجميع إلى قصر ملك الزواحف ويحصل على الترياق ويفوز بالرهان؟

تعانق الشابان دون أن يعرف أحدهما ما تخفي الأقدار، وسارا معاً إلى العراف، ودهش كلاهما حين شاهدا الأميرة ومربيتها حاضرتين هناك.. وقال أمير الحي الشرقي موجهاً كلامه للأميرة "لو كنت قبلت بي زوجاً لوفرت على البلد مأسى كثيرة، فأنا الأقوى والأجدر بين إخوتي لحمل ميراث العائلة".

لم ينبس المهاجر بكلمة. كانت الفرحة بمشاهدة الأميرة ترعش كيانيه كله..

النفت أمير الحي الشرقي إلى العراف قائلاً:

- أخبرني! هل سيعود أخي أمير الحي الجنوبي بالترياق من قصر ملك الزواحف؟

- لا أعرف ليس هذا مكتوباً في الألواح القديمة..

- ليت ملك الزواحف يلاغه فلا يعود أبداً! أو ليته يصاب بالفالج وتتشل حركته..

ولكن أمير الحي الجنوبي حالفه الحظ ودخل قصر ملك الزواحف دون مقاومة، إذ انسل الثعبان الكبير وحاشيته من القصر واختفى بين شعاب الجبل من الناحية الأخرى، قبل أن يأتي دوره في رقصة الموت..

وشاهد الأمير في القصر فتاته، الراقصة التي سلبت له، ومعها فتاة صغيرة تحمل طفلاً هي من بقي في معقل النساء حتى النهاية.

قالت الراقصة لأمير الحي الجنوبي الذي حدّته عن رقصة الموت التي

انتصرت بها على الزواحف:

- تطهّر الجبل منها.. إنك لن تر فيه بعد اليوم أن وجدت إلا ثعابين مسالمة.. أما القصر فسيكون ملك هذه الفتاة التي تربى طفلاً بمفردها، وستكون في حماية سكان الجبل الذين طهّروه وعمّروه..

* * *

قال العراف موجهاً حديثه لأمير الحي الشرقي:

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

- إن كنت ترغب في معرفة الغيب القريب في حدود ما نستطيع أن نرى من لوحه الأقدار ، فان الأميرة ستتزوج من شاب نزل بيروت فاصطبغت السماء بلون الدم وغضبت مياه الآبار وفار القدر على النار .
هفت الأميرة بلهجه تعمدت فيها الغصب :
- أنا لن أتزوج الا من المهاجر ، فهو الذي حمل الترياق الى والدي من قصر ملك الزواحف فتعافى .
قال أمير الحي الشرقي :
- مستحيل أن نرضى بسيادة غريب على شعبنا .
قال المهاجر متواضعا :
- لست أنا من حصل على هذا الترياق ، وانني أعفيك من نذرك ..
فرح أمير الحي الشرقي لزهد المهاجر في يد الأميرة ، وسأل العرّاف طالبا منه مزيدا من الإيضاح :
- ماذا تقول أيضا لوحه الأقدار ؟
- تقول بأن الأميرة تتزوج شابا على كتفه وشم نسر .
سؤال الأمير أمه :
- هل وشمت أخي أمير الحي الغربي أو الجنوبي بوشم نسر ؟
- كلا يا بنى .
- إذن لم يبق الا الوشم على كتفي ، ولكنني لا أراه جيدا ولا أعرف ان كان نسرا .
قالت الأم مؤكدة :
- بل هو وشم وطواط يا بنى .
صاحت الفتاة :
- لوحه الأقدار لاتعني شيئا بالنسبة الي . أنا لن أتزوج إلا من يحبه قلبي .
قال أمير الحي الشرقي :
- هذا ليس في نقايد عشيرتنا . قولي هذا الكلام أمام والدك .

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

- سأقوله، وبملء فمي.. الغريب يصبح قريبا بولائه، والنبيل يستحق نبالته بأخلاقه لا يوشم على كتفه.

قال العرّاف فجأة وهو ينظر من نافذة كوه:

- أنظروا من هو قادم على جواده!

وتجمعت رؤوس خمسة لترى أمير الحي الجنوبي وخلفه فتاة يتهدل شعرها الأسود الغجري الفاحم حتى يصل إلى ظهر الجواد.

ترجلا ودخلوا كوخ العرّاف ليعقد زواجهما. وكان العرّاف يقوم بمثل هذه المهمات منذ زمن ويسجل تلك الزيجات الاضطرارية في دفاتره.. وفوجئت الراقصة بأخيها هناك فتعانقا بلهفة أخوين توأمين فرق بينهما قدر قاس حتى يئس أحدهما من لقاء الآخر. وأحسست الأميرة التي عرفت أخيرا هوية المهاجر بالغيرة من الشابة الحسناء ذات الحيوية الدافقة التي لاتدري حقيقة نسب من تحسبه أخاهما، فمن يدري أن عاطفتها لانتطور تجاهه تطورا آخر؟ وأسرع أمير الحي الشرقي الذي يريد الإسراع بالتخلص من منافس خطر إلى القول:

- سنكون جميعنا شهود زواجكم!

وزغردت الأم وقلت عروس ابنها التي كانت تتلألأ كدرة فريدة، ثم دعت الجميع إلى القصر حتى لا يكون الملك آخر من يعلم بانسحاب ملك الزواحف وببواحد الوفاق الذي يحلم به.

وهناك حيث احتشد جمع غفير لتهنئة الملك بشفائه، وقف مربيبة الأميرة وأم الإخوة الأعداء تقص على الملك حلمها الذي خشيت مغبته فضحت بابنها الرضيع خوفا من مقبل الزمن كي تتجنب بيروت فتة لاتبقي ولا تذر. وأضافت:

- اليوم فقط علمت بأن ابني هو على قيد الحياة عندما حدثي العرّاف عن جريح قدم إليه مصابا في ذراعه، ولما أخذ بعلاجه شاهد على كتفه وشم نسر. ولدهشة الجميع طلب من المهاجر أن يخلع سترته ويكشف عن الوشم في كتفه.

قال الملك:

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

- ياعجبنا! هو الذي قبل ولوح المخاطر وجاعني بالترىاق من قصر ملك الزواحف.

قال المهاجر بتواضع وأدب جم:

- لست أنا، إنها أختي التوأم التي رقصت رقصة الموت مع ملك الزواحف!
وهي اليوم زوجة أخي أمير الحي الجنوبي. قال الملك:

- ياعجبنا أختك تتزوج أخاك؟

- نعم أختي بالررضاع تتزوج أخي بالمولد فأية غرابة في هذا؟
وبعد أن بارك الملك زواجهما، النفت أمير الحي الشرقي إلى أخيه المهاجر

وقال:

- كل الأمور تسير سيرا حسنا بالنسبة إليك حتى أنتي أكاد أتبأ بما سيجري.. ماذا ستفعل بنا لتحقق النبوءة بكمالها؟
وأجاب المهاجر بهدوء:

- أدعوكم لتحدوا فمنذ اليوم لن ترتفع إلاّ راية واحدة للحرية والوفاق فوق الجميع.

* * *

تحقق ما جاء في النبوءة عند هذا الحد، ولكن ما جرى بعدها كان عجبا..
رفض أمراء الأحياء التخلي عن امتيازاتهم، وإزالة حواجز الأحقاد التي
أججتها الحرب فيما بينهم، واستمروا في النظر إلى أخيهم المهاجر كغريب متطفل
لا يعرف شؤون البلاد، ولا حق له في أن يسود بينهم، حتى حين تزوج الأميرة
وسطع نجمه في السماء وأصبح نائب الملك يستشيره في كل صغيرة وكبيرة..
وحدث في ذلك الحين إنشقاق آخر بين إخوة الراقصة لأن كل واحد منهم
كان يدعي بأنه الأجدر في أن يرث قصر ملك الزواحف لما قدم من تصحيات،
وكانوا جميعاً يرفضون أن يترك القصر لفتاة قاصر تربى طفلاها. وبدل أن
يجتمعوا ويلاحقوا ملك الزواحف الذي كان مترbusاً بهم في الجانب الآخر من
الجبل أشعروا السيف، أحدهم على الآخر وكادوا لبعضهم فسقط منهم صرعى
أكثر مما سقط على يد عدوهم بسبب تشرذمهم، ولم تتحدد رايتهما أبداً!

بسرى الأيوبي المهاجر قصص قصيرة رمزية

أما المهاجر فإنه فقد بفقدهم سندًا قوياً يدعمه، وذات يوم استيقظ الناس
مذعورين على هزيم رعود وبروق وصواعق، وفحيح يهدى في الجو:
"عاد ملك الزواحف إلى قصره في أعلى الجبل!"
وأحاط بالمهاجر أمراء الأحياء يطلبون منه تسليم نفسه دون مقاومة، لأنهم
سيفجرون القصر بمن فيه إن لم يستقل طائرة على الفور ويغادر البلاد!..

* * *